الثورات العربية في منظار الفلاسفة الفرنسيين
دراسة نقدية تحليلية

نابت عبد النور

مقدمة

أثارت الاضطرابات السياسية في العالم العربي اهتمام وسائل الإعلام الفرنسية، ووصفت هذه الأحداث بعدة أوصاف: الثورات العربية، الربيع العربي، الهبّات الشعبية، اليقظة العربية.

هذا الاهتمام الواسع قابله اضطراب في مواقف الدبلوماسية الفرنسية، فالعلاقات الاقتصادية والإستراتيجية التي حاكتها فرنسا مع تونس ومصر والمغرب والجزائر منعتها من اتخاذ موقف مبدئي مع التظاهرات الشعبية التي عرفتها هذه البلدان والتي كانت تنادي بالحرية والديمقراطية. والاستثناء الوحيد كان مع أحداث ليبيا والتي أظهرت فيها فرنسا اهتماما مفرطا وأعلنت مساندتها لمطالب المعارضة الليبية.

إلى جانب الاهتمام الإعلامي والدبلوماسي هناك اهتمام آخر لدى الفلاسفة الفرنسيين، الفئة المثقفة الأكثر تأثيرا في الرأي العام، فكيف ينظر هؤلاء الفلاسفة لهذه الثورات؟ ما هي أسبابها؟ وما هي حدود نجاحها؟ وما هي آفاق الانتقال الديمقراطي في هذه البلدان العربية؟

راهن المشهد الفلسفي الفرنسي:

خصصت المجلة الأدبية الفرنسية[1] ملفا حول الرهانات الجديدة للفلسفة، ثلاثون مفكرا فرنسيا لفهم عالمنا، وهذا الملف فرصة مهمة لفهم حقيقة المشهد الفلسفي الفرنسي المعاصر خاصة بعد رحيل أسماء فكرية ذات شهرة عالمية (سارتر، فوكو، دريدا، دولوز)، ولقد ركزت المجلة على أسماء متعددة كمارسيل غوشيه، بيير مانه، جاك رونسير، جون لوك نانسي، إتيان باليبار، ألان بادیو...)، ولكنها أي المجلة

أهملت أسماء لها حضور إعلامي (برنار هنري ليفي، أندريه غلوكسمان، ألان فينكيلكروت، ريجيه دوبري، ميشيل أونفراي، إدغار موران).

يتوزع الفلاسفة في فرنسا بين مراكز البحث العلمي والجامعات ووسائل الإعلام، ولا شك أن تأثير من تقدمه وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة واضح وأشد ويعرف هؤلاء الفلاسفة بعدة تسميات: مثقفو الإعلام، الرجعيون الجدد[٢]، الفلاسفة الجدد.

برنارد هنري ليفي، أندريه غلوكسمان، ألان فينكيلكروت: اهتمامات متفاوتة وهواجس واحدة:

ظهرت تسمية الفلاسفة الجدد لأول مرة في يونيو سنة ١٩٧٦ وأطلقه أحد زعمائهم وهو برنارد هنري ليفي في عدد خاص من مجلة الأنباء الأدبية (١٠يونيو ١٩٧٦) دوسييه (ملفا) بعنوان: الفلاسفة الجدد. ويندرج بينهم خصوصا: جان ماري بنوا، ميشيل جيران، كريستيان جامبيه، جي لردرو، فرانسواز ليفي، فيليب نيمو، ثم يتصدرهم برنارد هنري ليفي وغالبيتهم كانوا يدورون حول سن العشرين لما اندلعت ثورة مايو سنة ١٩٦٨ في فرنسا[٣].

وتعقيبا على كلام الدكتور عبد الرحمان بدوي، يمكن إضافة اسمين آخرين: أندريه غلوكسمان وآلان فينكيلكروت، الأول لمشاركته في النقاشات الفكرية في السبعينات وفضحه للممارسات الشيوعية القمعية والثاني لتوافق مواقفه السياسية مع ليفي وغلوكسمان فيما يخص الدفاع المستميت عن إسرائيل.

أثار هؤلاء الفلاسفة الجدد نقاشات فكرية وردود أفعال فلسفية مناقضة لهم، ففي رد الفيلسوف الفرنسي جيل دلوز (١٩٢٥-١٩٩٥) على سؤال في رأيه في الفلاسفة الجدد يقول: "أعتقد أن فكرهم عديم القيمة، وأرى في ذلك سببين ممكنين: اعتمادهم مفاهيم ضخمة عديمة المحتوى وغارقة في الثنائيات وكذلك إنشاء وظيفة المؤلف الفارغ"[٤].

في هذا المشهد الثقافي أسس هؤلاء الفلاسفة الجدد التسويق الأدبي أو الفلسفي عوض تأسيس مدرسة متبعين مجموعة من التقنيات أهمها:

١. الحديث عن الكتابة بطريقة انتقائية في الجرائد والحوارات والملتقيات والحصص الإذاعية والتلفزيونية والتي تؤدي إلى تعويض الكتاب نفسه.

٢. يجب أن يحمل الكتاب عدة إخراجات للسماح بظهور عدة أدوار تناسب أذواق القراء والمستمعين[٥].

لقد نجح هؤلاء الفلاسفة الجدد (برنار هنري ليفي، بروكنر، غلوكسمان...) في فرض أنفسهم على الساحة الثقافية الفرنسية لعدة أسباب:

١. انقلاب موازين القوة بين الصحافيين والمثقفين، فالكتاب أضحى أقل قيمة من المقال الصحفي أو المقابلة الإعلامية.

٢. ظهور نمط جديد من التفكير سماه دولوز بنمط التفكير الحر، تفكير المقابلة الصحفية، تفكير الدقيقة[٦].

٣. هيمنة هؤلاء الفلاسفة الجدد على المجال السياسي وتوجيه النقاش السياسي خلال الحملات الانتخابية بعرض مواضيع جديدة تتناسب مع قناعاتهم الإيديولوجية (ماي ٦٨، الاشتراكية الماوية، الثورة، الصراع بين اليسار واليمين... الخ)[٧].

يتزعم هؤلاء الفلاسفة الجدد برنارد هنري ليفي الذي يمثل ظاهرة ثقافية في الساحة الإعلامية، ويتحرك على أكثر من جهة في المجال الإعلامي والسياسي والدبلوماسي بفضل نفوذه في وسائل الإعلام والأوساط السياسية (اليمين واليسار) فهو لا يخفي ميوله اليسارية ولكن يبقى تحيزه للدولة العبرية من أهم القناعات الثابتة.

ولد برنار هنري ليفي عام ١٩٤٨ في بني صاف بالجزائر، ويقدم على أنه واحد من قادة الفلسفة الجديدة التي بدأت في السبعينات من القرن الماضي، وتعود عائلة ليفي إلى اليهود السفارديم، حيث انتقلت عائلته إلى باريس. أنهى ليفي دراسته في الإيكول نورمال سوبربور عام ١٩٦٨ وتخرج من قسم الفلسفة وكان من أساتذته جاك دريدا ولوي ألتوسير، بدأ ليفي حياته العملية كصحفي في مجلة كومبات وهي المجلة السرية التي أنشأها ألبير كامو أثناء الاحتلال النازي لفرنسا، وفي عام ١٩٧١ سافر إلى شبه القارة الهندية وغطى الحرب الانفصالية في باكستان الشرقية وألهمت التجربة كتابه الأول "بنغلاديش، قومية تتمرد".

يكتب هذا الصحفي، الأديب، الفيلسوف في مجلة لوبوان الفرنسية عمودا أسبوعيا ويلاحظ اهتمامه الأسبوعي بما يحدث في العالم العربي من ثورات وانتفاضات على مدار أربعة أشهر وكانت البداية بتونس.

يعتقد برنارد هنري ليفي أن الشعب التونسي علمنا أن المبادئ الديمقراطية

مبادئ إنسانية. ويمضي في حديثه إلى محاولة التنبؤ بما سيحدث مستقبلا قائلا: "اليوم تونس وغدا ليبيا القذافي وسوريا عائلة الأسد وربما إيران أحمد نجاد"[٨].

هذا التمني يكشف جانبا نفسيا مهما في شخصية الرجل المدافع عن الدولة العبرية والحريص على مستقبلها وهذا ظاهر في اختيار دول معادية للكيان الصهيوني واحتمال قيام انتفاضة شعبية.

جاءت أحداث الثورة المصرية فكان عنوان مقاله، لماذا مصر لا يمكن أن تكون تونس؟ ركز فيها على الفروق بين الواقع التونسي والواقع المصري، ففي الحالة الأولى هناك نضج شعبي ومستوى تعليمي راق وثقافة سياسية عكس الحالة المصرية والتي ينتشر فيها الفقر والأمية ولكن الفارق الأكبر بين الحالتين يكمن في تحدي الإسلام الراديكالي الذي يمثله الإخوان المسلمون بالنظر إلى صور المحجبات والحضور القوي للإسلاميين في الشبكات الاجتماعية وهذا الأمر غائب تماما في تونس[٩].

يواصل برنارد هنري ليفي مراقبة ما يجري في مصر مبينا وقوفه مع الديمقراطيين المصريين رافضا الأحكام المسبقة حول استثناء العرب من الديمقراطية ولكنه يسجل ثلاث ملاحظات:

١. إن الثائر لا يعني بالضرورة أن يكون ديمقراطيا بدليل وجود الإخوان المسلمين في صفوف الثائرين.

٢. إن صدام الحضارات في نظره داخل الإسلام بين إسلام أصولي صارم إرهابي وإسلام الأنوار وهذا ما يحدث حاليا في مصر.

٣. هناك تحديات لهذه الثورة أوله اتفاق السلام مع إسرائيل الذي يجب أن يستمر حسب برنارد هنري ليفي والتأسيس لمبدإ حرية الوعي والعبادة والتأكيد على المساواة بين الجنسين[١٠].

هذه الهواجس التي يحملها ليفي عن مصر جعلته يطرح مجموعة من التساؤلات في مقاله الموالي ويمكن اختصارها في ما يلي:

١. هل من الممكن مراجعة اتفاق السلام مع إسرائيل رغم تطمينات المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية؟

٢. هل تغير الإخوان المسلمون- الغائب الأكبر في هذه الثورة المصرية- وهل تخلو فعلا عن الإيديولوجية الجهادية والشريعة؟

٣. ما طبيعة الجيش المصري؟ هل هو جيش ديمقراطي على شاكلة جيش أتاتورك، أم أنه لا يمكن استبعاد فرضية حكومة متنوعة ذات توجيه عسكري مثل ما حدث مع عبد الناصر في الخمسينات؟[١١]

هذه التساؤلات قادته إلى زيارة مصر وكتابة تحقيق صحفي بجريدة ليبراسيون بعنوان "مصر السنة صفر" التقى فيها المتظاهرون في ميدان التحرير ومثقفون وسياسيون مصريون من مختلف الأطياف وحاول أن يفهم مواقفهم من اتفاق السلام مع إسرائيل وانتهى هذا التحقيق إلى التأكيد على أن مصر دخلت في سباق ضد الساعة على أمل أن يسمح لها الجدول الانتقالي من كسب هذا السياق، ولكن فكرة المرجعية الإسلامية لا يمكن إقصاؤها وهذا ما يجعل السيناريو العسكري المدني على الطريقة الروسية ممكنا وفيها يعود العسكر للحكم وبذلك نكون أمام نموذج جديد لثورة مجمدة في أوتوقراطية دستورية. ولكن ما هو سائد الآن يؤكد أننا نعيش زمن الديمقراطية[١٢].

لقد شكل الموضوع الليبي اهتمام برنارد ليفي إذ لعب دورا مهما في إقناع الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي بالتدخل الجوي وهذا بعد زيارته لشرق ليبيا، إذ تحول من مجرد إعلامي ومثقف ملتزم إلى وزير للحرب بتعبير الصحف الفرنسية.

إن زيارة ليفي لليبيا المتكررة حاول فيها جس نبض المعارضة (أو المتمردين) لفهم قناعاتهم ورؤيتهم السياسية لقضايا المنطقة العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية، يقول ليفي: "لا أقول إن المعارضة الليبية مستعدة للاتفاق مع أكبر ديمقراطية في المنطقة (يقصد إسرائيل) ولكنها أي إسرائيل ليست العدو الأساسي وعندما أتحدث عنها وأذكر عظمة إسرائيل يستمعون إلي بفضول[١٣].

ومن شدة حماسه للتدخل العسكري في ليبيا يدعو هذا الفيلسوف إلى التخلص من الرئيس الليبي واصفا إياه ببطل العالم في الإرهاب والكاره للغرب وللقيم الديمقراطية[١٤].

هذه الحماسة تبررها مجموعة من الأسباب جعلته متفائلا بالتدخل العسكري شخصها فيما يلي[١٥]:

١. طبيعة جيش المتمردين المتكون غالبيته من الشباب.

٢. وجود رابطة قوية بين جيش المدنيين وجزء من الجيش النظامي المتمرد عن نظام طرابلس.

٣. قوة الضربات الجوية لحلف الناتو.

٤. فقدان القذافي لأعوانه السريين في مناطق الشرق.

٥. رفض القبائل الليبية للاستبداد ووقوفهم إلى جانب المتمردين.

يعود موضوع إسرائيل في مقاله التالي لمجلة لوبوان عنوانه: إسرائيل والربيع العربي[١٦] وفيه يعيد طرح فكرة المخاوف الإسرائيلية من رياح التغيير في العالم العربي. ذلك أن الانتخابات الحرة تعني وصول الأصولية إلى الحكم (الجزائر عام ١٩٩١، غزة عام ٢٠٠٦).

هذا المقال يريد به برنارد ليفي الدفاع عن موقفه الداعم للثورة الليبية وتبرير ذلك أمام الرأي العام اليهودي الصهيوني بفرنسا بتذكيرهم بما يكنّه القذافي من كراهية لإسرائيل واليهود عموما (معاداته للسامية ومساهمته المالية والأدبية في نشر هذه الثقافة في ليبيا).

كما أن تخوفه من استرجاع إيران لهذه الحركية يجعله يسعى إلى إيقاف هذه المحاولات، ذلك أن هذه الثورات بينت لهذه الشعوب أن إسرائيل ليست العدو الأساسي، لكن العدو الحقيقي هي أنظمتها المتوحشة.

يستدرك ليفي في نهاية مقاله ليؤكد أن حبه للحق وكراهيته للطغيان هي التي جعلته يقف إلى صفوف ليبيا الحرة.

إن إعطاء بعد دولي للأحداث في المنطقة العربية جعل برنارد ليفي يوقع مع مجموعة المثقفين الأوروبيين (أمبرتوايكو، سلمان رشدي، أورهان باموك...)، بيانا يدعو فيه مجلس الأمن إلى التدخل دفاعا عن الشعب السوري المنتفض ضد آلة القمع البوليسي[١٧].

الشخصية الثانية الحاضرة بقوة في الإعلام الفرنسي هي شخصية أندريه غلوكسمان (١٩٣٧-) الذي يشكل أهم الأصوات المثقفة إلى جانب برنارد هنري ليفي.

إن أحداث العالم العربي في نظر أندريه غلوكسمان يجب أن تقودنا للتخلص نهائيا من نظريتين عرفتا رواجا بعد انهيار جدار برلين، الأولى تسمى نهاية التاريخ نظر لها فرانسيس فوكاياما تقول بأن التحديث الاقتصادي يحمل الدمقرطة"، الثانية تسمى

صراع الحضارات دافع عنها صمويل هنتغتون جعلت من العالم الإسلامي جدارا موحدا بالطبيعة كارها للقيم الغربية، ولكن ما يحدث اليوم في مصر يذكرنا من جهة أن نظاما يتطور اقتصاديا لا "يتدمقرط" بالضرورة، ومن جهة فإن العرب ليس مقدرا عليهم الاستبداد وراثيا وثقافيا"[١٨].

إن الهبة الشعبية التي تسقط نظاما استبداديا تسمى ثورة، وكل ديمقراطية غربية عرفت أصولها العنيفة وهذا ما عرفته تونس ومصر، وفي نفس اللحظة التي انهار فيها النظام المصري تحتفل إيران بثورتها الممزوجة بالأجساد المعذبة والإعدامات، لكن مصر ليست إيران الخميني ولا روسيا لينين ولا ألمانيا الثورة الوطنية الاشتراكية، ستكون بشبابها المتطلع إلى الاتصال، لكن غلوكسمان ينظر إلى واقع مصر نظرة سوداوية فالذين يموتون جوعا تبلغ نسبتهم ٤٠% والأمية وصلت إلى سقف ٣٠% كما أن شروط وجود ديمقراطية صعب وهش ولكنها ليست مستحيلة، فلو كان الأمر مستحيلا لما استولى الباريسيون على سجن الباستيل. لكن الأرقام التي عبر عنها سبر الآراء تعرقل بناء الديمقراطية، ذلك أن ٨٢% من المصريين يتمنون أن تطبق الشريعة ويتم رجم الزناة و٧٧% يرون أن قطع يد السارق أمر عادي و٨٤% يتبنون قتل المرتد، وهذه الأرقام جعلت غلوكسمان يحيل القارئ لمقاله إلى وضع فرنسا التاريخي والتي استغرق فيها التحول من لحظة الثورة إلى الجمهورية الديمقراطية واللائكية قرنين من الزمن والولايات المتحدة الأمريكية عرفت حرب الانفصال الرهيبة، وصراع الطبقات ونضال السود من أجل حقوقهم المدنية لكي تصل إلى ما هي عليه الآن[١٩].

هذا التحليل والمقارنة قادته إلى حقيقة أن من يتحدث عن الثورة والحرية لا يتحدث بشكل فوري عن الديمقراطية واحترام الأقليات والمساواة بين الجنسين وحسن الجوار مع الشعوب الأخرى.

لا شك أن حسن الجوار مع الشعوب الأخرى كان المقصود به إسرائيل ولذلك يعود غلوكسمان في مقال له بجريدة لوموند عنونه: "الصراع مع إسرائيل لم يعد محوريا" انتصار الأجيال الجديدة ونبه في بدايته إلى عدم وجود صور للمحتجين في الثورتين التونسية والمصرية وهم يحرقون علمي إسرائيل وأمريكا، أو يدوسون صور

زعيميهما أو يهتفون "الموت لإسرائيل" وغيرها من مشاهد كانت مألوفة في كافة حركات الاحتجاج والتظاهر في الشارع العربي. وباستثناء أحداث منعزلة مثل مهاجمة مراسلة أجنبية في القاهرة ووصفها بأنها يهودية وكذلك محاولة جماعة متشددة التعرض لكنيس يهودي في تونس، فإن مهاجمة إسرائيل لم تكن في مقدمة اهتمامات المحتجين الذين كانوا في أوقات معينة مطلقي الحرية في التصرف خاصة في لحظات الذروة في الانفلات الأمني وغياب الشرطة والسلطة.

ويعتبر الفيلسوف غلوكسمان أن دلالة هذا التراجع في استهداف إسرائيل ورموزها تستحق الرصد والتفسير، ذلك أن الصراع العربي الإسرائيلي حسبه لم يعد هو محور العالم أو مركزا بالنسبة لأجيال الشعب في العالم العربي، ذلك أن أولويات هؤلاء الشباب داخلية من جنس قضايا الاقتصاد والإصلاح السياسي[٢٠].

لا يختلف ألان فينكيلكروت عن أندريه غلوكسمان فيما يخص هاجس الدولة العبرية والرجل الذي ولد عام ١٩٤٩ وأصدر حتى عام ٢٠٠٢ ما يقارب الخمسة عشر كتابا في قضايا تاريخية وفكرية متعددة يحتل الشأن اليهودي فيها مكانا بارزا، ينتمي إلى جيل لم يخض تجارب ثورية أو يواجه حقائق مأساوية، وإنما تعود لبس الأقنعة الثورية اليسارية من حيث جاءت: أقنعة ماوية، وأقنعة كوبية[٢١].

ويتفق هذا المفكر المثير للجدل في الأوساط الثقافية الفرنسية مع غلوكسمان فيما يخص الشروط الثقافية للديمقراطية معتقدا أن توقف المتظاهرين لأداء الصلاة يؤكد على الخصوصية الثقافية الإسلامية المناقضة للديمقراطية الغربية ولكنه لا ينفي تضمن الثورة قدرات تحررية، ولكن الهاجس الأساسي في نظره يكمن في الأصولية الإسلامية الرافضة للقيم الغربية ويحيلنا الرجل إلى أفكار سيد قطب أحد أبرز المرجعيات الإخوانية.

إن ألان فينكيلكروت يضع خطا فاصلا بين ثورات أوروبا الشرقية التي أسقطت الأنظمة الشيوعية والثورات العربية لعدم وجود تقليد ديمقراطي في البلدان العربية والمقصود بالتقليد الديمقراطي: وجود نخب منفصلة عن أنظمة الحكم وهذا ما حدث في تشيكوسلوفاكيا وبولونيا على غرار فاكلاف هافل[٢٢].

لا شك أن موقف ألان فينكيلكروت غلب عليه الحذر لسببين:

-توجسه من الثورات العربية لتخوفه من تحول الثورات أنظمة قمعية ومعادية لإسرائيل وهنا يحضر النموذج الإيراني.

-التزام موقف حذر لعدم الوقوع في خطإ ميشال فوكو الذي رأى في الثورة الإيرانية تجسيدا لأمل المضطهدين[٢٣].

ميشال أونفراي ولوك فيري وايف شارل زاركا: استحضار تراث الفلسفة السياسية الحديثة:

يمثل ميشال أونفراي (١٩٥٩-) رائد نظريات السعادة والتحرر، وهو من التيار النيتشوي والفوضوي وأهم منظري الإلحاد ومؤسس الجامعة الشعبية الحرة بكان.

يعتقد هذا الفيلسوف في افتتاحيته الشهرية (مارس ٢٠١١) أن ايتيان دولابويسي يمثل نبيا للعالم العربي، ذلك أن زيارته للمغرب وليبيا ومصر بينت له حقيقتين: رضوخ المواطن العربي للأنظمة البوليسية القمعية وحجم الفقر المتنامي في الأوساط الشعبية[٢٤].

إن ما يحدث في مصر في نظر ميشال أونفراي يؤكد صلاحية الأطروحات التحررية للابويسي (١٥٣٠-١٥٦٣) الذي قال: "لا تسعوا إلى التخلص منه بل أعربوا عن الرغبة في ذلك فقط، أحزموا أمركم على التخلص نهائيا من الخنوع وها أنتم أحرار، أنا لا أريد منكم الإقدام على دفعه أو زحزحته، وإنما الكف عن دعمه فقط، ولسوف ترونه مثل تمثال عملاق نزعت قاعدته من تحته، كيف يهوي بتأثير وزنه فيتحطم"[٢٥].

توضح الباحثة الفرنسية سيمون غوبارد فابر هذه المقولة قائلة: "ذلك أن الشعب هو الذي يضع بنفسه عبوديته أو يصنع حريته لأنه يصنع الطاغية أو يزيله، فالمرء يصنع الطاغية بأن يكون متواطئا معه أو داعما له، أما إزالة الطاغية فليست في قتله، وسيتحول حينها إلى شهيد أو إلى بطل فيستمر التأليه الذي كان يطمح إليه، فيغدو إذا على حق"[٢٦].

لم يكن اختيار أونفراي لاتيتان دولابويسي بريئا، فالشرق في نظر فلاسفة فرنسا القدامى والمعاصرين مهد الطغيان، فإيتيان دولابويسي في معرض تقديمه لنماذج الطغيان خلال العهد الروماني والفارسي يشير إلى الدولة العثمانية قائلا: "لقد أدرك الطاغية التركي الأكبر أن الكتب

والفكر تملأ نفوس الناس أكثر من أي شيء آخر، إحساسا بكرامتهم وكرها للطغيان، فأنا أفهم أن تخلو بلاده خلوا مطلقا من العلماء وألا يجد في طلبهم، فحماسة الذين ظلوا هناك، رغم الظروف السيئة وشغفهم، وعشاق الحرية لبثوا عموما دونما تأثير بصرف النظر عن عددهم لأنهم عاجزون عن التفاهم فيما بينهم، فقد حرمهم الطغاة من كل حرية في العمل والقول وحتى في الفكر تقريبا، فظلوا معزولين داخل أحلامهم"[٢٧].

إن التطورات التي طرأت في مصر وتونس بعد تحطم الآلة البوليسية وإقصاء الطغاة لا تعني نهاية الطغيان، فالثورة يمكن أن تلد وحوشا أكثر ضراوة من قبل، غير أن عبقرية الشعوب العربية يمكن أن توقف هذا المسار، فالخطر يكمن في تحول الثورة نحو التيوقراطية أو نحو الديانة الليبيرالية الاستهلاكية، ثم إن هذين المآلين سيعيدان بعث مرحلة ١٧٩٣ التي عرفتها الثورة الفرنسية (مرحلة الإرهاب)"[٢٨].

إذا كان ميشال أونفراي قد استحضر في تحليله ايتيان دولابويسي فإن لوك فيري أعاد تحليلات أليكسيس دوتوكفيل ومقولة نهاية التاريخ ويمثل لوك فيري أحد أهم الرموز الفكرية اليمينية، ألف ما يقارب الثلاثين كتابا في الفلسفة وعمل وزيرا للتربية الفرنسية في عهد حكومة رافاران ٢٠٠٢-٢٠٠٤، يقول لوك فيري (١٩٥١ -) لتوضيح انتمائه الفكري السياسي: "أنا جمهوري بالمعنى الذي يجعلني قابلا لتدخل الدولة وليبيراليا بالمعنى السياسي والذي يجعلني أحافظ على التمييز بين الدولة والمجتمع، كما أنني من المؤيدين لإبقاء الدولة فرعا تابعا للمجتمع المدني في بعض الحالات وفي نفس الوقت لا أعترف بالليبرالية الجديدة ولا بالقيم التقليدية التي تعظم فرنسا وهذه القيم تشكل البنية الإيديولوجية لليمين حاليا"[٢٩].

إن العودة إلى أليكسيس دوتوكفيل لم يكن الهدف منه فهم المجتمع التونسي الذي عرف أول ثورة عربية وهذا رغم درجة التمدن والمستوى التربوي الرفيع باعتراف دومينيك ستروس كان والذي اعتبر تونس نموذجا للرفاهية الاقتصادية"[٣٠].

أراد لوك فيري أن يعيدنا إلى القرن التاسع عشر، زمن ربيع الشعوب عام ١٨٤٨، أين وقفت فرنسا الرسمية ضد التطلعات الشعبية وهنا يجب إعادة قراءة ذكريات توكفيل للاقتناع من أن فرنسا الدولة الجمهورية لم تكن تملك حيزا من المناورة أمام أوروبا الملوك.

كان توكفيل آنذاك يشغل وزارة الشؤون الخارجية بين جوان ونوفمبر ١٨٤٩ والذي كتب مؤكدا أن فرنسا لا تملك وسائل لسياسة خارجية كبيرة. وأن نتعامل حسب قدراتنا الصغيرة مع الاكتفاء بخدمة الإرادة الطيبة للإنجليز"[٣١].

كان الهدف من هذا الاستحضار محاولة ربط الراهن بالماضي، ذلك أن وزيرة الشؤون الخارجية أليو ماري اقترحت بعث اندلاع الانتفاضة التونسية بعث قوات الأمن الفرنسية لإنهاء حركة الشارع التونسي وكان هذا الاقتراح مقدمة لأزمة إعلامية عجل باستقالتها وتعويضها بألان جوبيه. وهذا كله يعني أن الموقف الرسمي الفرنسي القديم والحالي يقف إلى جانب المصالح على حساب المبادئ ولا تهمه الشعوب المنتفضة.

في سياق آخر يتساءل لوك فيري هل أصاب فرانسيس فوكاياما عندما أعلن نهاية التاريخ؟ وهل ما يحدث في العالم العربي يمثل انتصارا للقيم الليبرالية؟ يرى فيري فيما يحدث في المنطقة العربية حركة تاريخية لا يمكن إيقافها مستشهدا بفيلسوف التاريخ توينبي القائل: "التاريخ من جديد في حركة"[٣٢].

إن الربيع العربي في نظره لا يمثل نهاية التاريخ ولن يكون كذلك، ذلك أن الحديث عن انتصار الليبرالية كما يذكر فوكاياما يمثل مشكلة حقيقية.

إن أول حكم ممكن على كتاب فرانسيس فوكاياما كما يذكر لوك فيري في إجابة عن سؤال حول ما إذا كان النظام الديمقراطي التمثيلي يشكل نهاية التاريخ؟ يرى الرجل أن التاريخ بعيد عن أن يكون قد اكتمل وإنه على العكس من ذلك لم يكن في يوم من الأيام أقل يقينا عما هو عليه اليوم، فانهيار الكتلة الشيوعية جعل الحياة السياسية الدولية غير متوقعة تماما، لكن هذا لا شيء أمام السؤال الذي يطرحه على نفسه وهو معرفة إلى أي مدى يمكن تصور أي شيء آخر عدا التمثيل الغربي في إطار الأنظمة الديمقراطية؟ هل باستطاعتنا التفكير في شيء آخر سوى مجرد إصلاح للنظام الليبرالي؟ إصلاح يؤدي بطبيعة الحال إلى مشاركة أكثر من المواطنين سيما في مستوى المداولات[٣٣].

بالنسبة إلى أيف شارل زاركا (١٩٥٠-) الذي يشغل أستاذا للفلسفة السياسية في جامعة السوربون ومديرا لمجلة Cités الدورية الفكرية فقد كان مقاله حول الثورات

العربية مناسبة لنقد السياسة الفرنسية تجاه الثورات العربية والتي كانت كارثية بداية من التصرفات المشينة للسفير الفرنسي في تونس، والذي يعطي صورة لدرجة تجاهل حكومة ساركوزي للشعوب وللرهانات الحقيقية في الضفة الأخرى للمتوسط[٣٤].

إن أحداث العالم العربي ما زالت أسيرة اللايقين ومازال القلق كبيرا حول طبيعة الحكم الذي سيحل في تونس ومصر؟ ويمكن تفسير ذلك بصعوبة تأسيس مؤسسات ديمقراطية في أشهر قليلة، في بلدان ما زال جزء كبير من الحكم والإدارة في أيدي خدام النظام السابق وفي مجتمعات بنيتها فاقدة للمساواة إضافة إلى ذلك قوة القدرة التنظيمية للإسلاميين[٣٥].

يضع إيف شارل زاركا ثلاثة اعتبارات توضح حقيقة الثورات العربية[٣٦]:

١. لعب المستوى التعليمي والتنويري والتكويني للشعوب العربية دورا في انبعاث هذه الثورات، ذلك أن الثورة لا يمكن أن تحدث مع شعوب تعاني الجهل والجوع والعبودية ويعتقد إيف شارل زاركا أن التطلع إلى الحرية يتأكد بقوة في هذا الوقت. إنه يجب على هذه الشعوب أن تنتقد الفكر القدري المرتبط بقوة ثقافية تقليدية وهذا الأمر تحقق مع الربيع العربي.

٢. لقد كانت الحرية والديمقراطية هي الهوية المطلبية لمختلف الحركات. وهذا ما يعطينا الحق دون أحكام مسبقة للقول بأننا نعيش زمن ثورات ما بعد الإسلاموية، هذا الواقع الجديد يؤكد أنه من المستحيل تصدير الديمقراطية بالحرب والنار وأنه يجب الاعتراف بأن ذوق الحرية والديمقراطية ليس ملكية غربية. كما أن هناك تطلعات للأفراد والشعوب نحو الحرية في كل أنحاء العالم، فقط يجب أن تكون الظروف متاحة لإمكانية تحقق تعبير جماعي وهذا ما تحقق في العالم العربي.

٣. هذه الرغبة الأصلية لدى هذه الشعوب نحو الحرية والديمقراطية، تقدم تكذيبا راديكاليا لأطروحتين متعارضتين: حرب القيم الثقافية التي نظر لها هنتغتون وأطروحة التعددية الثقافية (التي ظهرت في كندا وأمريكا..).

ألان تورين، أدغار موران، ألان باديو: وحدة الانتماء الإيديولوجي وتحليلات متباينة:

عندما نتحدث عن وحدة الإيديولوجيا للأسماء المذكورة "ألان تورين، أدغار موران، ألان باديو، فإن المقصود بذلك الانتماء إلى المنظومة الإيديولوجية اليسارية حتى ولو كانت الأطر التنظيمية نسبيا تختلف. فتورين مثلا مقرب للحزب الاشتراكي الفرنسي. وموران كان عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي سابقا. وألان باديو أكثر قربا من اليسار الراديكالي الممثل في حزب الرابطة العمالية.

لنبدأ مع ألان تورين الذي يعتبر عالم اجتماع أكثر من كونه فيلسوفا، ولكن مساهماته الفكرية الأخيرة تصنف في الفلسفة الاجتماعية (ما الديمقراطية، نقد الحداثة)، ولد عام ١٩٢٩، كان والده طبيبا، انحدر من سلالة من الأطباء، ومع أنه كان مقدرا له الانخراط في مستقبل مهني أكاديمي، عندما دخل إلى دار المعلمين العليا، حيث نجح في امتحان التأهيل للتدريس، إلا أنه قرر أن يقطع صلته بتقليد عائلته بعد الحرب وذهب للعمل في منجم الفحم في شمال فرنسا، هذه التجربة عززت عنده اهتماما بعلم الاجتماع، وفي عام ١٩٥٠، انضم تورين إلى عالم الاجتماع جورج فريدمان في المركز القومي للبحث العلمي (المنظمة الوطنية الفرنسية للبحوث)، وكان أول عمل بحثي رئيس لتورين عبارة عن دراسة تتناول العمل في مصنع رونو للسيارات في باريس وتم نشرها عام ١٩٥٥. أما عمله الرئيس التالي فكان بعنوان "سوسيولوجية الفعل" فقد جاء بعد ذلك بعقد من الزمن[٣٧].

يعتبر ألان تورين من المفكرين الاجتماعيين الذين تأثروا بأحداث مايو ١٩٦٨ (ثورة الطلاب بفرنسا) والتي رسخت لديه رأيا بأن نظرية صارمة عن المجتمع باعتباره كلا وظيفيا عفويا يتميز أساسا بحرصه على إعادة إنتاج نفسه هي نظرية غير ملائمة، ذلك لأنها لم تفسر كيف تغيرت المجتمعات، كما أنها لم تعط وزنا كافيا للأشكال المختلفة للفعل الاجتماعي[٣٨].

من هذا المنطلق السوسيولوجي يدعو ألان تورين في مقاله بجريدة لوموند إلى تحليل الثورات العربية وفهم هذه المجتمعات واتخاذ موقف وسط بين الأحكام السلبية الثقافوية والمعادية للعرب وبين الاندفاع المادح والمهلل لهذه الأحداث، تبعا لذلك وجب على المثقفين أن يشجعوا كل ما يمكن أن يقوي حركات التحرر، ويضيف ألان تورين أنه علينا أن نؤثر على الحكومات

الأوروبية التي اتخذت موقفا حزبيا حذرا تجاه الحركات الشعبية[٣٩].

يعتقد تورين أنه لمدة نصف قرن كنا نفكر بمنطق الأصدقاء أو الأعداء تحت تأثير الحرب الباردة في دراستنا للصراعات الداخلية أكثر من تفكيرنا بمنطق صراع الطبقات وأن المشكلات الاجتماعية لم تحتل إلا مكانة ثانوية في تفسير التغيرات مقابل ربط ذلك بالمشكلات الدولية والاستعمار، والاتحاد السوفييتي، تفجيرات ١١ سبتمبر، الإسلاموفوبيا... الخ[٤٠].

إن أحداث مصر وتونس في منظار ألان تورين بدأت من حركة الشارع والمدونين بعيدا عن تأثير الأحزاب المنظمة ففي تونس مثلا كان اللاتوازن بين مستوى تربوي مرتفع واحترام حقوق النساء ووضعية الشباب المتعلم البطال منطلقا لانقلاب سهل، إضافة إلى ارتكاز نظام بن علي على الأمن، أما الوضع في مصر فهو مختلف ليس فقط في حجم البلد ولكن بسبب قوة حركة الإخوان المسلمين التي تراقب المنظمات المهنية والمؤسسات الخيرية وكذلك هيمنة القطاع العام وتكون الموارد المالية من مصادر خارجية (عائدات القناة، المساعدات الأمريكية، تحويلات المصريين بالخليج، السياحة، وهذا كله أدى إلى ترك المشاريع الكبرى المساهمة في التطور الاقتصادي (الزراعة، الصناعة)[٤١].

إن ما يحدث من اضطرابات اجتماعية في اليمن يحضر لانهيار الدكتاتورية فيها، كما أن مستقبل الدكتاتورية في الجزائر يظهر أنه هش ولكن ذلك لا يبين أننا نعيش زمن ربيع الشعوب في أوروبا الوسطى (١٨٤٨) ولكن هذا لا ينفي أننا نعيش مرحلة تاريخية جديدة تكون فيها المشكلات والخيارات الداخلية منتصرة على منطق المواجهات الدولية[٤٢].

ولكن هذا التشخيص السوسيولوجي لم ينس تورين الإشارة إلى المواقف الإسرائيلية من هذه الثورات الشعبية واحتمالات صعود قوة مناهضة لاتفاقيات السلام ويرى هذا السوسيولوجي أن من مصلحة إسرائيل قيام دولة فلسطينية لأن ذلك يساهم في استمرار وجودها وأن من مصلحتها أن ينتصر منطق التحول الاجتماعي في المنطقة بدلا من تأثيرات النزاعات التي تسببت بها الخصوصيات الدولية المصبوغة بالألوان القومية[٤٣].

ينهي ألان تورين مقاله بالتأكيد على أنه لا يجوز أن نطلب من المثقفين قول كلام

عشوائي باسم قيم كونية، لأن هذه القيم ليست ملكا لهم، لكن يجب أن نطلب منهم تعريف قضية الحرية التي هي قضية العدالة الاجتماعية والدفاع عنها[٤٤].

إن تحليلا لفهم تورين لهذه الثورات ينطلق أساسا من وظيفته الأكاديمية كعالم اجتماع ومن منطلق فلسفي. يقول تورين في كتابه "ما هي الديمقراطية": "إن العمل الديمقراطي هو كناية عن استئساس لحركات التحرر المجتمعي أو الثقافي أو القومي، ولكن كما يشدد جون راولز على وجوب إعطاء الأولوية لمبدإ الحرية على المبدإ الذي يقوم عليه تكافؤ الفرص والسعي إلى تقليص أشد التفاوتات إجحافا، كذلك ينبغي على العمل الديمقراطي المندفع بحركة الدفاع عن الذات وبالنضالات ضد أشكال السيطرة، أن يحكم معجميا السعي إلى الاستدماج المجتمعي وإلى التوفيق بين المصالح الشخصية ليس الحق هو الأساس الذي تقوم عليه الديمقراطية، بل الديمقراطية هي التي تحول دولة حق، قد تكون ملكية مطلقة، إلى مجال عمومي حر، فالديمقراطية قبل أن تكون مجموعة من الإجراءات والتدابير هي نقد للسلطات القائمة وأمل بالتحرر الشخصي والجماعي"[٤٥].

ثمة شخصية فلسفية طبعت الحياة الفلسفية الفرنسية المعاصرة متمثلة في عالم الاجتماع والفيلسوف إدغار موران الذي ولد عام ١٩٢١، صاحب الكتاب الموسوعي "المنهج" في ستة أجزاء وجمع فيه خبرته في علوم كثيرة: البيولوجيا والفيزياء والفلسفة وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم اللغة والتواصل.

انضم الرجل إلى الحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٤٢ وطرد منه عام ١٩٥١ ولكنه ظل يؤكد على شيوعيته. وفي نفس السنة التحق بمركز البحث العلمي الفرنسي (CNRS).

يرى إدغار موران أن أحداث الشمال الإفريقي لم تكن منتظرة وأن هذه التطلعات الشبانية نحو الحرية والكرامة تبين أن رجال العالم العربي الإسلامي المعروف عنهم خضوعهم وقدريتهم وتعصبهم في الواقع يشبهوننا، كما أن هذه الأحداث مثل أحداث ١٤ تموز ١٧٨٩، ثورة تنطلق من المبادئ نفسها: حقوق الإنسان والطموح ونشدان الحرية والتآخي وردة فعل ضد الفساد والغنى الفاحش ولكن ما حدث في ١٤ تموز

تم خنقه لاحقا مع نابليون بونابرت وعودة البوربون، كما أن هذه الثورة تركت أثرا ودفعا على الثورة البلشفية لأن أفكار الثورة الفرنسية حطمت الشيوعية اللينينية الستالينية. ثم إن ما حدث في إفريقيا الشمالية أمر مهم للمستقبل. ولكن ما يجب أن نفكر به هو أن تبقى هذه الثورات على عفويتها الأولى وعلى سلميتها وانطلاقتها الأولى ولحظتها الجمالية. ذلك أن الثورات تتحول إلى واقع مبتذل وتافه. وفي سؤال حول تأثير هذه المعطيات الجديدة على إسرائيل يجيب إدغار موران معتقدا أن الأنظمة المستبدة في العالم العربي لا تعطي ضمانات أبدية لأمن إسرائيل كما أن الأنظمة الديمقراطية النابعة من الثورات ستطرح مشكلة فلسطين ومع هذه الأنظمة يمكن بسهولة إطلاق مفاوضات كبيرة[٤٦].

وفي مقال له بجريدة لوموند: ٢٦ أفريل ٢٠١١ أكد إدغار موران أن هناك غيوما تتجمع في ربيع الثورات العربية وتهدد بمقاومة التغيير الذي أحدثته، كما أن المفاهيم السياسية السائدة في العالم العربي سواء كانت بوليسية أمنية علمانية أم دينية فهي تواجه رياح التغيير كما أوضح موران أن ما يعرف بقيم الديمقراطية والحرية ليست حكرا عل الغرب فقد رأينا الأصوات مرتفعة تطالب بها في الصين عام ١٩٨٩ قبل وأدها وهاهي تتكرر اليوم في العالم العربي، غير أن موجة الديمقراطية في هذا العالم مدينة لأفكار الديمقراطية التي ظهرت في أوروبا ولكنها ليست مدينة للديمقراطيات الغربية بشيء، بل على العكس من ذلك فهذه الديمقراطيات دعمت الاستبداد في العالم العربي، والعرب الذين أنهوا الاستعمار السياسي هاهم الآن بصدد إزالة الاستعمار الفكري لتبقى عملية إزالة الاستعمار الاقتصادي، ولكن الطريق صعب نحو تحقيق الطموح الديمقراطي والانتقال من سيطرة الفرد على الدولة إلى تحقيق دولة المواطن، ذلك أن القمع السياسي منع الأحزاب أو دمرها مما أدى إلى ضعف سياسي تسبب في انفجار الثورة من الشارع بشكل مفاجئ لكنه سلمي ومنظم، واعتمدت في التنظيم على وسائل الاتصال الحديثة مع ملاحظة غياب رؤوس موجهة قد يتم استهدافها، بل كانت القيادات الشابة كثيرة وبالتالي كان الاستهداف مستحيلا. غير أن هذه الميزة تتحول إلى ضعف عندما يتعلق الأمر بعملية بناء الديمقراطية، فحينها يظهر فراغ في المؤسسات والبنى السياسية

والمفاهيم التي أنتجها الاستبداد ورعاها، ورغم توفر حماس الشباب فإن الاحتمال كبير للوقوع في الفوضى، وما يلي ذلك من خلافات وانقسامات والتزامات يستحيل تحقيقها فورا، هذه الانهيارات السريعة للأنظمة الديكتاتورية في تونس ومصر دفع بالأنظمة الأخرى إلى التحرك لتفادي المصير ذاته، فكانت هناك تدابير لوأد التحرك في مهده كما هو الحال في الجزائر بإعلان تنازلات متعددة، وحملة دموية في اليمن وسوريا والتدخل السعودي في البحرين وأمام هذه المتغيرات اتخذ الغرب موقفا متغيرا بشكل كبير. فقد قدمت أمريكا نفسها بطلة للديمقراطية في تونس ومصر وليبيا في البداية، ثم أبدت تحفظا واضحا تجاه سوريا، ولم تتحرك أبدا لتواجه النظام في المملكة العربية السعودية، أما فرنسا فكان تدخلها في الثورة التونسية متأخرة جدا، لكن الرئيس ساركوزي تحرك بسرعة لدعم وإنقاذ الثوار الليبيين في بنغازي، كما أن التدخل الغربي في ليبيا يشكل تناقضا مركبا، فهو يكشف نزاعا بين الرئيس الفرنسي والزعيم الليبي، كما يثير مسألة نجدة القوى الاستعمارية القديمة للانتفاضات الشعبية في مستعمراتها السابقة وتساءل موران، هل التدخل إنساني أم ديمقراطي أم له هدف اقتصادي؟ ولماذا ينحصر التدخل في ليبيا فقط رغم وجود قمع عنيف في اليمن وسوريا، كما أن الغرب أبدى سلبية مطلقة تجاه الهجوم الإسرائيلي على غزة، كل هذا يكشف المعايير المتعددة التي يستخدمها الغرب[٤٧].

لقد جاء الربيع الديمقراطي العربي في وقت يشهد الغرب اضمحلال الديمقراطيات الأوروبية وأوروبا وبعد تأخرها في الترحيب بالربيع العربي بدت منقسمة على نفسها، فالخوف من الفشل يشل العمل الديمقراطي الذي يهدف إلى منع الفشل، وجهود الدعم لا يمكن استمرار الاستعمار الاقتصادي بل ينبغي وضع خطة مارشال جديدة والابتعاد عن نماذج التنمية الإقليمية المنفردة، مع احتفاظ كل ثقافة عربية بمقوماتها وأن تستوعب أفضل ما لدى الغرب[٤٨].

ولكن في غالبية البلدان العربية تطرح مشكلات صعبة متعلقة بالانتقال من مرحلة التطلعات الديمقراطية نحو التحقق الديمقراطي ولفهم هذه الصعوبات وجب الرجوع إلى التاريخ لأخذ دروس. وأول الدروس متعلق بهشاشة وظرفية الديمقراطية

في أوروبا الحديثة فالثورة الفرنسية تحولت إلى ثورة دموية، كما أن الفاشية دمرت الديمقراطية الإيطالية وكذلك فعلت النازية في ألمانيا والفرانكية في إسبانيا وبنفس المنطق يمكن للربيع العربي أن يتعرض لتحولات ومتاعب جمة، أما الدرس الثاني فيرتبط أساسا بفكرة مفادها أن شدة المخاطر الدكتاتورية ستثير تمردات ثورية وهبات ثورية ستؤدي إلى إعلان دكتاتوريات رجعية، كما حدث عام ١٩٣٦ بإسبانيا، إضافة إلى أن الانقسامات في الجمهورية الإسبانية بين الفوضويين والشيوعيين والليبراليين ساهمت في هزيمتها. وربما يمكن حدوث ذلك مع العرب[٤٩].

غير أن أهم درس يمكن استنتاجه يتعلق بصعوبة التجذر الديمقراطي ويتعلق الأمر هنا بمعرفة الأسباب التالية:[٥٠]

١. إن الديمقراطية تتغذى من صراع الأفكار حتى ولو لم تكن متجذرة في وعي المواطنين، ذلك أن صراع الأفكار يمكن أن يسقط الديمقراطية (الحالة الألمانية والاسبانية).

٢. يجب على الديمقراطية أن تسمح بحرية التعبير حتى لأعداء الديمقراطية.

٣. إن الديمقراطية خاضعة للعبة تنافسية بين الحقائق المتعارضة.

٤. إن الديمقراطية تضعف، إذا لم تكن هناك مشاركة فعالة للمواطنين في الحياة السياسية، وبالجملة إن الديمقراطية مغامرة كبيرة في خضم مغامرة التاريخ.

إلى أقصى اليسار يبرز الفيلسوف الفرنسي ألان باديو المولود عام ١٩٣٧ بالرباط والذي درس لمدة ٣٠ سنة في جهات عدة بباريس والمتأثر بأفكار الفيلسوف الماركسي ألتوسير. وقد تميزت كتاباته بنقد التطورات المثالية الإنسانوية واعتبار الإنسان قيمة مطلقة، أما في المجال السياسي فقد كان ناقدا للديمقراطية البرلمانية ومدافعا عن الاشتراكية الشيوعية، من مؤلفاته: نظرية الذات ١٩٨٢، عقل ساركوزي، الفرضية الشيوعية.

من هذه الخلفية الفلسفية يوجه ألان باديو نقدا لاذعا للغرب ومن يمثله من المثقفين المطيعين والجنود المنحدرين للبرلمانية الرأسمالية وكل من ينتفع من الدول الغربية (أحزاب، نقابات، مثقفين) الذين يفضلون الإدارة على السياسة والمطالبة على الثورة والانتقال المنظم على كل قطيعة، ذلك أن هذا الواقع المرير الذي نعيشه- يضيف ألان

بـاديو- يـدعونا إلـى الثـورة التـي أحيتهـا الانتفاضـات العربيـة فينـا، علينـا أن نتحـول إلـى تلاميذ نـتعلم مـن هذه الشـعوب العربيـة مبادئ الحرية والمساواة والتحرر[٥١].

يريـد بـاديو أن يسـقط مفـاهيم ماركسـية علـى الانتفاضـات العربيـة (أحـداث تـونس ومصـر)، مؤكـدا أن النصـر الـذي حققتـه الشعوب ضد سلطة الدولـة يبرز أفقا كونيا يوضـح أن كـل تحـرك جمـاعي متفلـت مـن سـلطة القـانون، يعـد اضـمحلالا للدولـة بتعبير ماركس.

إن هذا الاضـمحلال للدولـة حسـب بـاديو يفهم مـن أقـوال المنتفضـين المؤكدة علـى أن الشـعب وحـده صـانع التـاريخ الكـوني، ويستشهد بـاديو بمقولـة شـاب تونسـي: "أبنـاء العمـال والفلاحـين أقـوى مـن المجـرمين". ومقولـة شـاب مصـري: "اعتبـارا مـن اليـوم، ٢٥ جانفي، سوف أتسلم زمام بلدي"[٥٢].

يعـود بـاديو إلـى المخـزون المفـاهيمي الماركسـي مستعيدا مفهوم شـيوعية الحركـة التـي ميـزت المنتفضـين مبـررا هـذا المفهـوم بعدم وجـود حـزب أو تنظـيم مهيمن أو قائـد معروف، ثم أن هذه الشـيوعية الحركيـة هـي الأنقـى منـذ كمونـة بـاريس ولتوضـيح هـذه الفكرة يؤكد باديو أن الشيوع قضى على كل التناقضات التي تدعي الدولـة أنها قـادرة علـى إدارتهـا بـين المثقفين والعمـال وبـين الرجـال والنساء وبين المسلمين والأقباط، بين سكان الريف وسكان العاصمة[٥٣].

الخاتمة:

مما سبق عرضـه مـن تحليلات الفلاسفة الفرنسيين يتضـح لنـا حقيقـة سـعي محـاولات فلسـفية فرنسـية لتأكيـد كونيـة القـيم الديمقراطيـة. ولكـن تحليـل هـذه الأحـداث تـم فـي أفـق ثقـافي فرنسـي فالانتقـال إلـى الحكـم الـديمقراطي فـي نظـر فلاسـفة فرنسـا علـى اخـتلاف انتمـاءاتهم الإيديولوجيـة تـرتبط أساسا بضرورة توفر شـروط ثقافيـة مرتبطـة بالتجربـة الفرنسـية ولهـذا السـبب تكـرر الإشـارة إلـى الثـورة الفرنسـية والتـي كانـت مثالا في تقسيم الثورات العربيـة، أضـف إلـى ذلـك هـواجس التجـارب الأوروبيـة الأخـرى الألمانية، الإيطالية، والإسبانية.

لقد سعى فلاسفة فرنسا إلى تجاوز منطق التمركـز الأوروبـي ولكـن بقـي تفكيـرهم مضـبوطا بهـواجس الإسـلاموية وأمـن إسـرائيل والمصـالح الاقتصـادية رغـم التأكيـد المتكـرر لأولويـة المبـادئ على المصالح.

الهوامش:

(1) Les nouveaux enjeux de la philosophie 30 penseurs français pour comprendre notre monde, Magazine littéraire n°457, octobre 2006, p 22-59.

(٢) الرجعيون الجدد تسمية أطلقها مؤرخ الأفكار الفرنسي دانييل لندنبرغ على مجموعة من المفكرين المتحولين من الأفكار اليسارية إلى الأفكار اليمينية (كبرنارد هنري ليفي، غلوكسمان، غوشيه، أدلر الكسندر...).

(٣) د/ عبد الرحمان بدوي، ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت)، ط١، ١٩٩٦، ص ٢٠٨.

(4) Gilles deleuze, Deux régimes de fous, textes et entretiens 1975-1995, éditions prépares par david lapoujade, éditions Minuit, 2003, p 127.

(5) ibid, p 129.

(6) ibid, p 130.

(7) ibid, p 131.

(8) Bernard henri levy, leçons tunisiennes, le point n° 2001, 20 janvier 2010, p 34.

(9) Bernard henri levy, pourquoi l'Egypte ne peut pas être la Tunisie?, le point n°2003, 3 février 2011, p 122.

(10) Bernard henri levy, avec les démocrates égyptiens, le point n° 2004, 10 février 2011, p 154.

(11) Bernard henri levy, des questions à la révolution égyptienne, le point n° 2005, 17 février 2011, p 86.

(12) Bernard henri levy, Egypte année zéro, Libération, 26 et 27 février 2011, Reportage le mag, IV-VII.

(13) Bernard henri levy, Scènes de la vie dans la libye libre, le point, n° 2008, 10 Mars 2011, p 134.

(14) Bernard henri levy, Libye : monsieur de norpois est

de retour, le point n° 2012, 7 avril 2011, p 162.

(15) Bernard henri levy, enlisement ? vous avez dit enlisement ? en libye, les insurgés font preuve de maturité pour faire tomber Khadafi, le monde 19 avril 2011, p 19.

(16) Bernard henri levy, Israël et le printemps arabe, le point n°2015, 28 avril 2011, p 138.

(17) Woody allen, umberto eco, david grossman, Bernard Henri levy, Amosoz, orhan bamuk, Salman rushdié, Wole soyinka : Syrie : Lettre au conseil de sécurité de l'ONU : libération, lundi 27 juin 2011, p 19.

(18) Thomas Wieder, Aparis, l'intelligentia du silence, le monde 6-7 février 2011, p 3.

(19) Andre Glucksman, qui dit révolution ne dit pas d'emblée démocratie, libération, lundi 7 février 2011, p 7.

(20) Andre Glucksman, Le conflit avec Israël n'est pas central, la victoire des nouvelles générations, Le monde 19 février 2011, p 21.

(٢١) سعد البازعي، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط١، ٢٠٠٧، ص ٧٣.

(22) www.Libération.fr finkielKrout : « ya-t'il une tradition démocratique en égypte ? je l'espère », libération le 3/02/2011, consultée le 19-03-2011.

(23) – ibid : le même site.

(24) http : mo.michel onfray.fr/ : Michel onfray, la boetie, prophète du monde arabe, la chronique mensuelle de michel onfray, n°70 Mars 2011.

(٢٥) ايتيـان دولابويسـي، مقالـة العبوديـة الطوعيـة: ترجمـة عبـود كاسـوحة، مراجعـة جوزيـف شـريم، المنظمـة العربيـة للترجمـة، بيروت، لبنان، ط١، ديسمبر ٢٠٠٨، ص ١٦٦-١٦٧.

(٢٦) نفس المرجع، ص ١٢٢.

(٢٧) نفس المرجع، ص ١٦٦-١٦٧.

(28) Michel onfray, la boetie, prophète du Monde arabe, le blog de Michel onfray.

(29) Luc Ferry, l'anticonfomriste une autobiographie intellectuelle, entretiens avec Alexandra laignel-lavastine, Editions Denoel, 2011, p 392.

(30) www.le Figaro.fr : luc ferry, tunis toqueville, et nous, le figaro, 19/01/2011.

(31) Jacques de saint victoir, le printemps arabe connaitra t- il le même sort que le printemps des peuples, revue des deux mondes, Avril 2011, p33.

(32) www. Le figaro.fr : luc ferry : fin de l'histoire : fukuyama avait raison !, le 23/03/2011.

(٣٣) جـان فرانسـوا دورتـي، فلسـفات عصـرنا: تياراتهـا، مـذاهبها، أعلامهـا وقضـاياها، تـأليف جمـاعي، مجلـة العلـوم الإنسانية، ترجمة إبراهيم صحراوي، الدار العربيـة للعلـوم، منشـورات الاخـتلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص ٩٠-٩١.

(34) Yves charles zarka, éloge des révolutions arabes, cité 45, 1/2011, p 136.

(35) ibid, p 136.

(36) ibid, p 137.

(٣٧) جون ليشته، خمسون مفكرا أساسيا معاصـرا: مـن البنيويـة إلـى مـا بعـد الحداثـة، ترجمة فاتن البستاني، مراجعة محمد بدوي، المنظمـة العربيـة للترجمـة (بيـروت، لبنـان)، ط١، ٢٠٠٨، ص ٣٩٦-٣٩٧.

(٣٨) نفس المرجع، ص ٣٩٧.

(39) Alaine touraine, sortons de la guerre froide ! le monde 19 janvier 2011, p 20.

(40) ibid, p 20.

(41) ibid, p 20.

(42) ibid, p 20.

(43) ibid, p 20.

(44) ibid, p 20.

(٤٥) ألان تورين، ما هي الديمقراطية، حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية، ترجمة حسن قبسي- دار الساقي- (لبنان)، الطبعة الثانية، ٢٠٠١، ص ١٧٤-١٧٥.

(46) Edgar morin, propos recueillis par Michel colomés- le point n°2010, 24 Mars 2011, p 138.

(47) Edgar morin, nuages sur le printemps arabe, le monde, 26 avril 2011, p 18.

(48) ibid, p 18.

(49) Edgar morin, De l'aspiration à la réalisation démocratique, le monde 26 avril 2011, p18.

(50) ibid, p 18.

(51) Alain badiou, Tunis, Egypte : quand un vent balaie l'arrogance de l'occident, les soulèvements des peuples arabes sont un modèle d'émancipation, le monde 19 février 2011, p 21.

(52) ibid, p 21.

(53) ibid, p 21.